الله يقول غير ما تقول يا امير المؤمنين فاصغى اليها وقال ما يقول الله قالت يقول الله في كتابهِ الكريم

" وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منهُ شيئاً "

فقال عمر اصابت امرأة واخطأ عمر حسين عبد الفتاح الجمل

باب التقريظ والانتقاد

شرح قانون المحاكمات الجزائية

قانون المحاكمات الجزائية في الممالك العثمانية يقابل قانون العقوبات في القطر المصري. وقد شرحهُ حضرة الاصولي الفاضل والقانوني المدقق سليم افندي رستم باز مفتش عدلية لبنان سابقاً واهدى الينا نسخة منهُ فتصفحناها بقدر ما سمح لنا الوقت فرأينا الشرح وافياً في مقاصدهِ لا يتردد الواقف عليهِ في الحكم بان صاحبهُ الفاضل عانى فيهِ الصعاب حتى خرج صحيح العبارة مسترسلها دقيق المعاني مبسوطها . قال في مقدمتهِ

" يراد باصول المحاكمة الجزائية طريقة تحقيق الجريمة ومحاكمة فاعلها وانفاذ الحكم فيهِ ولما كان الغرض المقصود من قانون الجزاء تحديد العقاب لكل جريمة كان مرمى ذلك الغرض من اصول المحاكمة اخراج هذا الوعيد الى حيز الفعل بطريقة تعصم من الخطإ في كيفيتهِ وبذلك تعرف اهمية اصول المحاكمة وصعوبة مسالكها . ولقد كان هذا الامر من اهم المشاغل التي تفرغ لها في جميع الاعصار كل من عُني بوضع القوانين شرقاً وغرباً حتى استفرغت آراءهم واستنفدت افكارهم لان الخطأ في هذا الباب جسيم الغائلة وخيم العاقبة لا يقاس بهِ غيرهُ من مزلات العقل الانساني ومغالطهِ فغاية ما ينتقد بهِ على قانون الجزاء مثلاً انهُ لا يخلو عن اللين في موضع الشدة وعن الشدة في موضع اللين فالاول لا يعبأ بهِ لان الرفق بالمجرم لا يتأتى منهُ كبير ضرر اما الثاني فلا يعد جوراً ولو كان مما يؤسف لهُ لان العقوبة فيهِ واجبة وانفاذ العقاب عادل من حيث هو هو ولا يقدح فيهِ سوى الشدة لا غير وهذا مما يغتفر لهُ وخصوصاً لانهُ نادر الوقوع ولكن اين ذلك من الخطإ الذي يقع في المحاكمة فيضل الحاكم عن سبيل الحق اذ هناك يتملص الجاني من العقوبة ويقاد البريء بجريمة غيرهِ وهذا مما ترتعد لهُ فرائص العدل والانسانية "

وترى في كل فصل من فصول هذا الشرح ادلة على اعتناء الشارح ببسط الاحوال واقامة الادلة كقولهِ في الكلام على وجوب محكمة التمييز التي حُرِم منها القطر المصري قال

"(٧٩١) من ابدع ما وضعهُ الشارع عند ما سن قوانين العدلية الجديدة ومن اجلّهِ نفعاً وعائدةً طريقة تمييز الحكم اذ من المعلوم انهُ لا يمكن صون المحاكم عن الخطاء في تطبيق الاحكام القانونية على الحوادث كما لا يمكن اتفاق آرائها في تفسير معاني القانون وما غمض من دقائقهِ فلو تركت المحاكم وشأنها تفسر القانون كما ترى لتشردت احكامهُ وتمزقت كل ممزق وتباينت معانيهِ وتضاربت بتضارب الآراء في تأويلها وتفسيرها فيصير ما يقضى بهِ هنا غير ما يقضى بهِ هناك واذا تمادى الامر تصدعت وحدة القانون وانقطع نظامهُ وصار كأن لكل ولاية بل لكل قضاء قانوناً مستقلاً في ذاتهِ والحال ان الركن الاساسي في العدل التسوية بين الرعية في الاحكام القانونية فلا يصح ان يعاقب الرجل هنا على عمل يعدُّ هناك مباحاً كما لا يجوز ان تكون مدة الاستئناف في هذه الولاية عشرة ايام وفي غيرها احد عشر يوماً لان هذه تطرح من المدة يوم التبليغ وتلك لا تطرحهُ الى غير ذلك من الاختلاف في الحكم بسبب تباين الآراء واختلاف المذاهب في التفسير والتأويل . ولا يمكن تلافي هذا المحذور الاَّ بوضع محكمة سامية لكل المملكة خاصتها ان تنتقد الحكم فتؤيدهُ اذا كان موافقاً للقانون وتنقضهُ اذا كان مخالفاً لهُ وانما لا يكون لها ان تحكم بالدعوى بل تعيدها الى المحكمة الَّتي حكمت بها او الى محكمة اخرى لتراها مجددًا من النقطة التي وقع فيها النقض فما يليها وبذلك تعلم المحاكم ما يقع من الخطاء والصواب في الحكم فتجتنب الاول وتعتمد الثاني وتجري كلها على مذهب واحد في التأويل والتفسير فيتوحد القانون في جميع انحاء المملكة لفظاً ومعنًى" انتهى

وغنيٌّ عن البيان ان احكام المحاكم المصرية صارت كثيرة التناقض والتضارب ولا سيما اذا قوبلت احكام المحاكم المختلطة باحكام المحاكم الاهلية فعسى ان يرى اولياء الامر ما يسهل لهم انشاء محكمة خصوصية لتمييز الاحكام لان محكمة النقض والابرام صارت عبئاً ثقيلاً على القضاة

والكتاب ضخم الحجم يزيد على الف صفحة مثل صفحات المقتطف ولهُ فهرس هجائي مسهب لتسهيل المراجعة . ولا غرابة اذا جاء كما وصفنا من البيان والسهولة لكثرة ما لصاحبهِ من الجولات في ميدان القضاء فقد شرح "المجلة" "وقانون الحقوق" قبلهُ وتولَّى القضاء في محاكم لبنان سابقاً وهو الآن من مشاهير المحامين فيهِ وفي بيروت

الصحة العجيبة في تطهير اناء الشيبة

في رسالة في بيان فضل العفاف للقس مايز الانكليزي الخطيب الشهير ترجمها الى العربية حضرة عيسى افندي الحلو في طرابلس الشام . وقد ذكر فيها الاخطار الادبية التي تعرض للشاب في سنّ بلوغهِ وما بعدهُ وقال انها ثلاثة الاغواء والخطيئة السرية الانفرادية ومعاشرة السفلة واردفها باربع حقائق وهي اولاً ان العفة دعامة الصحة . وثانيًا ان الزواج ناموس مقدس والعفة واجبة فيهِ . وثالثًا ان لطالبي العفة وسائل تمهد لهم السبيل اليها . ورابعًا ان العفة مطلب الدين والآداب

والخلاصة ان هذه الرسالة جليلة في بابها . ولكن لمّا كان الخطاب فيها موجهًا الى جميع الاحداث والشبان على اختلاف طبقاتهم وتفاوتهم في المعرفة والعمر فقد كان اجدر بها ان تكون اسهل مأخذًا وابسط عبارة لان معظم الذين يقصدون بها يشكل عليهم فهم كثير مما ورد فيها

كتاب الحيوان

لأبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري وهو من اوسع الكتب العربيَّة واغزرها فوائد واندرها وجودًا عندنا نسخة منهُ ليس لها الاَّ شقيقة واحدة في القطر المصري نقحها المرحوم السيد محمود الشنقيطي . وقد تولى طبعهُ الآن حضرة الحاج محمد الساسي المغربي التاجر في مصر ونشر الجزء الاول منهُ وفيهِ نحو مئتي صفحة كبيرة وسيكون الكتاب نحو سبعة اجزاء او نحو ١٤٠٠ صفحة

الجغرافية الجديدة

الَّف هذه الجغرافية بالانكليزية حضرة الاديب احمد افندي حافظ واهداها الى سعادة سابا باشا مدير البوسطة العام ثم طبعها طبعة ثانية وهي مطابقة لبرنامج نظارة المعارف العمومية ومطبوعة طبعًا متقنًا وفيها كلام ضافٍ عن مصر والسودان وسكانهما واقليمها وتجارتهما وسائر ما يتعلق بهما

قاموس انكليزي وعربي

وضعت هذا القاموس ادارة المكتبة العمومية لصاحبها الاديب سليم افندي ابرهيم صادر في بيروت ووقف على طبعهِ حضرة عزتلو الياس افندي جرجس طراد وهو يشتمل على ثلاثين الف كلمة واكثر وثمنهُ خمسة فرنكات وربع خالصة اجرة البريد

ديوان تذكار الصبا

نظم هذا الديوان الرقيق فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد فنفدت الطبعة الاولى فطبع ثانية على نفقة جرجي افندي غرزوزي صاحب المطبعة المعروفة باسمهِ في الاسكندرية فنثني على اهتمامهِ بالآداب

مراثي الشعراء

وهي المراثي التي نظمت في رثاء فقيد السيف والقلم المرحوم محمود باشا سامي البارودي جمعها حضرة الكاتب الفاضل والشاعر المجيد خليل افندي مطران صاحب الجوائب المصرية " ذكرى خالدة للفقيد " وصدرها برسم الفقيد وترجمتهِ وبعض منتخبات من نظمهِ وفصل في اخلاقهِ وشعرهِ وآخر في مشهدهِ . ويلي ذلك المراثي التي تلاها اماجد الشعراء في حفلة الاربعين ثم المراثي التي نظمها غيرهم وبعثوا بها الى حضرة جامع الديوان

التحفة المصرية لطلاّب اللغة الانكليزية

اتحفنا حضرة الاديب الياس افندي انطون الياس بنسخة من كتابهِ " التحفة المصرية لطلاّب اللغة الانكليزية " بعدما نفدت طبعتهُ الاولى وطبعهُ مرة ثانية مضيفاً اليهِ زيادات كثيرة وقد ضمنهُ كثيراً من المفردات والجُمل والاصطلاحات والتصاريف والمراسلات مما لا غنى لطالبي اللغة الانكليزية عن استيعابهِ

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الرابع

يقول علماء البيان ان قول الكافر انزل السحاب المطر يطابق الاعتقاد ولكنهُ لا يطابق الواقع وقول المؤمن انزل الله المطر يطابق الاعتقاد والواقع معاً . وعلى هذا النحو جرى اكثر الاقدمين في بحثهم عن الحوادث الطبيعيَّة والتاريخية فكانوا ينسبونها الى قوة الهية لكي لا يُنسبوا الى الكفر لكن جمهور الناس لم يجروا هذا المجرى في اعمالهم فرأوا بالاختبار ان الحرث والري ينبتان البزر والخدمة والسماد يزكيانهِ فاعتمدوا على حرث الارض وريها وخدمتها وتسميدها . وان السلاح والتمرُّن على القتال ادعى للظفر من التوكل فنظموا الجنود وسلحوها ومرّنوها . ورأوا ان العلل

المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ففسروا حوادث الماضي بادلة الحاضر واخذوا تاريخ العصور السالفة وطبقوهُ على القواعد الكلية التي استنتجوها من تاريخ العصور الحاضرة فادركوا اسبابها ومسبباتها وصار التاريخ علمًا معقولاً بعد ان كان مقصورًا على سرد الحوادث من غير ارتباط بينها ومن غير نظر في صحتها

وقد اراد صديقنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشئُ مجلة الهلال الجري على الخطَّة العلمية في تاريخ العرب فجمع كثيرًا من موادهِ بعضها مما هو متداول من الكتب وبعضها مما يندر العثور عليهِ في المكاتب الشرقية او مما لم يعثر عليهِ الَّا الاوربيون ويوَّب ذلك وجمع منهُ كتابًا كبيرًا اصدر منهُ الى الآن اربعة اجزاء ووعد باصدار الجزء الخامس وبهِ تتمة الكتاب

وقد ذكرنا الاجزاء الثلاثة الاولى حين صدورها واماسنا الآن الجزء الرابع الذي صدر هذا الصيف وفيهِ ان اهل اللغات الاخرى في العالم الاسلامي احتفلوا بالاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب واعجب كبار العلماء المستشرقين في اوربا بموضوعها وقد اخذوا يشتغلون بنقلهِ الى السنتهم ونشرهِ بين مواطنيهم وبعض هذه الترجمات قد طبع ونشر ولا يزال البعض الآخر تحت الطبع والآخر تحت الترجمة

وموضوع الجزء الرابع سياسة الدول الاسلامية في خمسة عصور الاول العصر العربي الاول من ظهور الاسلام الى انقضاء الدولة الاموية سنة ١٣٢ هجرية والثاني العصر الفارسي الاول من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٣ والثالث العصر التركي الاول من خلافة المتوكل الى تسلُّط الديلم سنة ٣٣٤ والرابع العصر العربي الثاني من قيام الدولة الفاطمية الى انقضائها والخامس العصر المغولي من ظهور جنكيز خان الى وفاة تيمور لنك . وقسم كلاًّ من هذه الاعصر الى فصول وابواب ضمنها كثيرًا من الفوائد التاريخية التي لا يعثر عليها الَّا في المكاتب الحافلة فكيفما قلَّبت الكتاب تجد مباحث طلية تودُّ مطالعتها وفوائد جليلة ترغب في الاحتفاظ بها والرجوع اليها لا سيما وانها مسندة الى كبار المؤرخين مثل ابن الاثير وابن خلدون والمقريزي والمسعودي والفخري وابن خلكان

وانا نؤثر عندُ فصلاً وجيزًا موضوعهُ الشعوبيَّة والعرب انموذجًا منهُ وهو

"وفي ايام المأمون ومن جاء بعدهُ تظاهر الشعوبية بالطعن على العرب وكان المأمون يقرّبهم ويجعلهم من بطانتهِ ويجيزهم ومنهم سهل بن هارون قيم بيت الحكمة وكان شديد التعصب على العرب وابو عبيدة الراوية الشهير وعلان الشعوبي . والف الشعوبية الكتب في ذكر مثالب العرب والردّ على القائلين بتفضيلهم على سواهم من الامم

والشعوبية يقولون بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم ايضاً " اهل التسوية " ومن اقوالهم في الردّ على العرب ان النبي نفسهُ ساوى بين المسلمين على اختلاف مللهم بقولهِ " المسلمون اخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يدٌ على سواهم " وقولهِ في خطبة حجة الوداع " ليس لعربي على عجمي فضل الاَّ بالتقوى " وما جاء في القرآن " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " . والشعوبية ينوبون بدفاعهم عن كل امم الارض في ذلك العهد الاَّ العرب فاذا افتخروا بملوكهم ذكروا الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة وافتخروا بسليمان الحكيم والاسكندر الكبير وبملوك الهند . واذا فاخروهم بالانبياء والمرسلين ذكروا الانبياء من آدم الى ايامهم وانهم جميعاً من غير العرب الاَّ اربعة هم هود وصالح واسماعيل ومحمد . واذا فاخروهم بالعلم والصناعة والفلسفة ذكروا اختراع لعبة الشطرنج ورمانة القبان والاسطرلاب وفخروا بفلسفة اليونان واشعارهم وسائر علومهم وعلوم الهند والفرس وغيرهم . وبلغ من جسارة بعض الشعوبية في بعض ردودهِ ان قال " فما الذي تفخر بهِ العرب على العجم فانما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض فرجالها موثقون في حلق الاسر ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الابل " [1] واستشهدوا على ذلك بابيات من اقوال العرب تدلُّ على ضعف غيرتهم على العرض وقالوا " لا يفلح العربي ان لم يكن معهُ نبيٌّ ينصرهُ " [2] وعيروهم باستلحاق الادعياء ونظموا الاشعار طعناً فيهم . وممن نظم المطاعن عليهم الحسن بن هانئ وبشار بن برد وغيرهما على ان بشاراً كان تارة مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء

وقام المتعصبون للعرب فألفوا الكتب في الردّ على الشعوبية . ومن اشهر ما الف في ذلك كتاب " تفضيل العرب " لابن قتيبة وقد ردَّ الشعوبية عليهِ في مناظرات يطول شرحها . وفي كل حال فان السياسة وطبيعة العمران قضت بذهاب دولة العرب " انتهى

والكتاب على هذا النسق من جمع زبدة القضايا التاريخية وتبويبها حتى صار بها تاريخ العرب معقولاً على نوعٍ ما ولكن لا يزال فيهِ كثير مما لا يكاد يصدقهُ عاقل . وحبذا لو زادنا المؤلف من المقابلة بين ما فيهِ وفي تواريخ الامم المعاصرة للعرب ونبَّه على كل ما لا يحتمل وقوعهُ منهُ فان التحقيق والتمحيص لازمان كالجمع والتبويب ان لم يكونا الزم منهما ولا سيما في تاريخ نصفهُ منقول عن السنة الرواة

(١) العقد الفريد ٦٤ ج ٢ (٢) ابن الاثير ٥٧ ج ٢